مكافأة رلف ...

عن الانكليزية

بقلم الأستاذ عبد اللطيف النشار

كان النسيم يهب من جانب البحر لطيفاً هادئاً ولكنه بارد على الرغم من هدوئه ، وكان رلف مانريج يرتعش وهو واقف ويدثر نفسه بردائه وقد قلب ياقة السترة ولفها حول عنقه ، وقد استمر وقوفه مدة طويلة وهو عديم الحركة . ثم مشى وهو يتلفت نحو كل باب يمر به ليعرف أي المنازل هو الذي يريد ، ورأى على ضوء المصباح الرابع في ذلك الطريق منزلاً ذا حديقة صغيرة فوقف أمامه واشتد خفوق قلبه وحاول عبثاً أن يهدئ من اضطرابه ، ثم أخرج من جيبه مظروفاً وراجع وصف المنزل الذي يراه على ما كتب على ذلك المظروف بالرغم من أن ما يقرؤه كان منطبعاً في ذاكرته وبالرغم من أن هذا المنزل هو الذي يريده بغير شك

وحاول رلف أن يفحص المنزل فيما وراء الحديقة ؛ ولكن النور كان قليلاً فلم يستطع أن يرى غير هيكل يحيط به الظلام . ففتح باب الحديقة ومشى فوق ممر ضيق بين النبات . ولما صار أمام باب المنزل عاد إلى الوقوف مرة أخرى وهو يحاول تهدئة نفسه ، ورفع بصره فوجد مصباحاً ضئيلاً يضيء في إحدى الغرف . أما سائر النوافذ فكانت مغلقة ؛ فدق الجرس وهو يسائل نفسه كيف يقابل الفتاة التي جاء لمقابلتها ؟ وفتح الباب فتنهد تنهد الراحة ، وأطلت الخادمة فسألته ماذا يريد . فسكت لحظة ثم قال : هل بيرتا كاستر هنا ؟

قالت : سأسأل ، ولكن من أنت ؟

فتردد رلف قبل الإجابة ثم قال : قولي لها إن صديقاً قديماً يريد مقابلتها !

فظهر الارتباك على وجه الخادمة من عدم ذكر الاسم ، وقالت : إنتظر قليلاً حتى أعود

ثم أغلقت الباب ودخلت . فابتسم رلف ابتسامة مؤلمة من لجوئها إلى هذا الاحتياط

وبعد قليل عادت وقادته إلى غرفة الاستقبال ، فجلس وهو يدير لحظه في كل ما حوله ليفحص المكان ، وقد اجتمعت في ذهنه في هذه اللحظة كل الذكريات القديمة . ورأى على المكتب صوراً في أطر ، فنظر إلى إحداها نظرة طويلة وقد علت وجهه مسحة من الحزن وهو ينظر إلى الوجه الجميل الذي يراه في الصورة ويوازن بينه وبين الوجه الذي شهده في أيامه الأخيرة

وقد شوش عليه هذه الخواطر فتح الباب ودخول فتاة ، فالتفت إليها ولاحظ أنها تتجاهله رغم ما كان بينهما من صداقة متينة منذ سنوات . فقال في نفسه : هل يحدث مرور سبع سنوات كل هذا التغير أم لأن الخمس الأخيرة من هذه السنوات قد قضيتها في السجن ؟

ثم دنت بيرتا فلاحظ اضطرابها وسألته : هل تريد مقابلتي ؟ فلم يجبها ، لأن اضطرابه كان أشد مما سبق فأعادت سؤالها : لماذا جئت إلى هنا ؟

وكانت كلماتها تخرج ببطء وفي شيء من التردد . فشي نحوها وقد خانه النطق ، فقد كان منذ عهد طويل يحلم بهذه المقابلة ، وكان قد أعد ما سيقوله في كل مرة فكر فيها في هذه المقابلة . ولكنه الآن لا يذكر حرفاً واحداً

قالت : ماذا تريد ؟ فأجابها : لقد جئت ... ألم تلاحظي يا بيرتا أن حبي إياك لم يتغير بعد كل هذه السنوات ؟

قالت بيرتا : لقد كنت أظن بعد حدوث . . . ثم سكتت فجأة كأنما أرادت أن تصوغ جملتها في أسلوب آخر . وقالت : لقد كنت أعني بحبك لما كنت تستحقه . ولو أنك كنت تحبني حقاً لما هبطت هذا الهبوط

فاصفر وجه رلف وعرته رعشة وقال : هل أنت تعتقدين إجرامي ؟

فتراجعت بيرتا قليلاً وقالت : ماذا كنت أعتقد غير ذلك ؟ إن القرائن كلها ضدك وأنت لم تدافع عن نفسك أي دفاع ؛ وقد حاولت أن أفهم كيف لا تكون أنت المجرم ؟

فمشى رلف فى الغرفة ذهاباً وجيئة وهو مفقود الصبر ، ثم وقف أمامها فجأة وقال : أقسم بشرفى أنى لم آخذ المال ، وأنت تقولين أنك تحبيننى ، ولكنك تعتقدين أننى مجرم ؟ وأنا أقسم بشرفى أنى برىء يا بيرتا

ثم قال بلهجة مؤلمة : لقد قضيت خمسة أعوام فى الجحيم ؛ ولكن آلامى فى هذه المدة لا تذكر بجانب الآلام التى أعانيها فى المستقبل إذا أنت طردتنى

لم تجبه بيرتا وكانت فى أعماق نفسها تعرف أنها تحب الرجل ولكن شبح الجريمة المنكرة التى كانت تعتقد أنه ارتكبها قد حال بينها وبين الجواب الذى تود من صميم قلبها أن تجيب به

ومشى رلف نحو الصورة التى كان ينظر إليها أولاً ويلاحظ الشبه التام بين صاحب هذه الصورة وبين أخ لبيرتا ؛ ثم عاد إلى الالتفات نحوها وقال : وإذا برهنت لك على براءتى ، فهل تتزوجين منى ؟

فأطالت نظرتها إليه وقالت : ربما ، ولكن من الصعب أن أعد . إنك الآن غريب وإن أخى ...

ثم أحنت رأسها فاغرورقت عينا رلف بالدموع وقال بصوت يدل على التأثر : لقد علمت

قالت بصوت فيه رنة البكاء : هل سمعت ؟

فلم يجبها ولكنه عاد إلى الالتفات للصورة

قالت : لقد كنت أحبه ؛ وبعد ذلك الحادث استقال من منصبه ، وكنت أحاول منعه عن السفر ولكنه سافر وحصل على عمل فى روسيا وقد مات بعد عهد قصير وكنت يوم سفره أشعر بأنى فقدت كل شىء

فقال رلف : لقد كنت معه عند موته

التفتت بيرتا واصفر لونها وابيضت شفتاها وأخذ يقص عليها كيف قام بواجباته فى مدة المرض والاحتضار وبعد الوفاة .

فقالت : شكراً لك يا رلف ولكن كيف قابلته ؟

قال : بعد خروجى من السجن أردت السفر لأتنامى هذه النكبة وعلمت أنه سافر إلى روسيا فسافرت إليها فأدركته فى الوقت الأخير

وكان وهو يتكلم يلاحظ ما يبدو عليها من التأثرات ، فأدرك أنه إلى ما قبل هذه اللحظة لم يكن يعرف مقدار حبها لأخيها وكره استمرارها على هذه الحالة النفسية فحاول تغييرها وجثا على ركبتيه بالقرب منها وأمسك بيديها وقال : ألا تسمحين يا بيرتا بأن تجعلى لى من قلبك مكان أخيك ؟ إننى أجعل حياتى كلها وقفاً على إسعادك . تعالى نسافر من هنا فنقيم فى مكان بعيد نحاول فيه نسيان هذه الذكريات

فخلصت بيرتا إحدى يديها من بين يديه ووضعتها فوق رأسه . فشعر رلف فى هذه اللحظة بالسعادة التامة . وقالت : أنت تعرف يا رلف أننى أحبك ولكنك تعرف الذى يحول بينى وبينك . وعليك أن تبرهن على أنه خطأ

قال رلف : إننى لا أستطيع يا بيرتا أن أبرهن على أنى برىء ؛ ولكن ألا تثقين بما أقول ؟ إذا كنت تحبيننى فيجب أن تثقى بما أقول

فلم ترفع بيرتا رأسها ولم تجب . فوقف رلف ثم مشى متباطئاً نحو الباب وهو يأمل أن تستوقفه بكلمة . ولكنها لم تتكلم . ففتح الباب ورأسه منحن إلى الأمام ، واجتاز الممر على مهل وهو لا يزال يأمل أن تناديه . فلما صار عند باب الحديقة أخرج من جيبه اعتراف أخيها ومزقه بحالة تدل على أن عزمه على تمزيقه كان نتيجة فكرة فجائية . ووقف ذاهلاً وهو لا يعرف كم وقف

وشعر بيد توضع فوق كتفه ، وصوت رقيق يقول : « إننى يا رلف أكتفى بقولك فإنى أثق بك وبما تقول »

هبر اللطيف النشار

تعليق المترجم

رحم الله الشاعر العربى الذى يقول :

بنفسى وأهلى من إذا مرضوا له ... بيمن الأذى لم يدر كيف يجيب
ولم يعتذر عذر البرىء ولم تزل ... به سكتة حتى يقال مريب
لقد ظلموا ذات الوشاح ولم يكن ... لنا فى هوى ذات الوشاح نصيب

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)